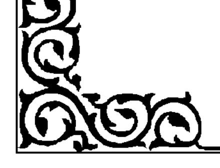


تَفْرِيغُ مُحَاضَرَةِ

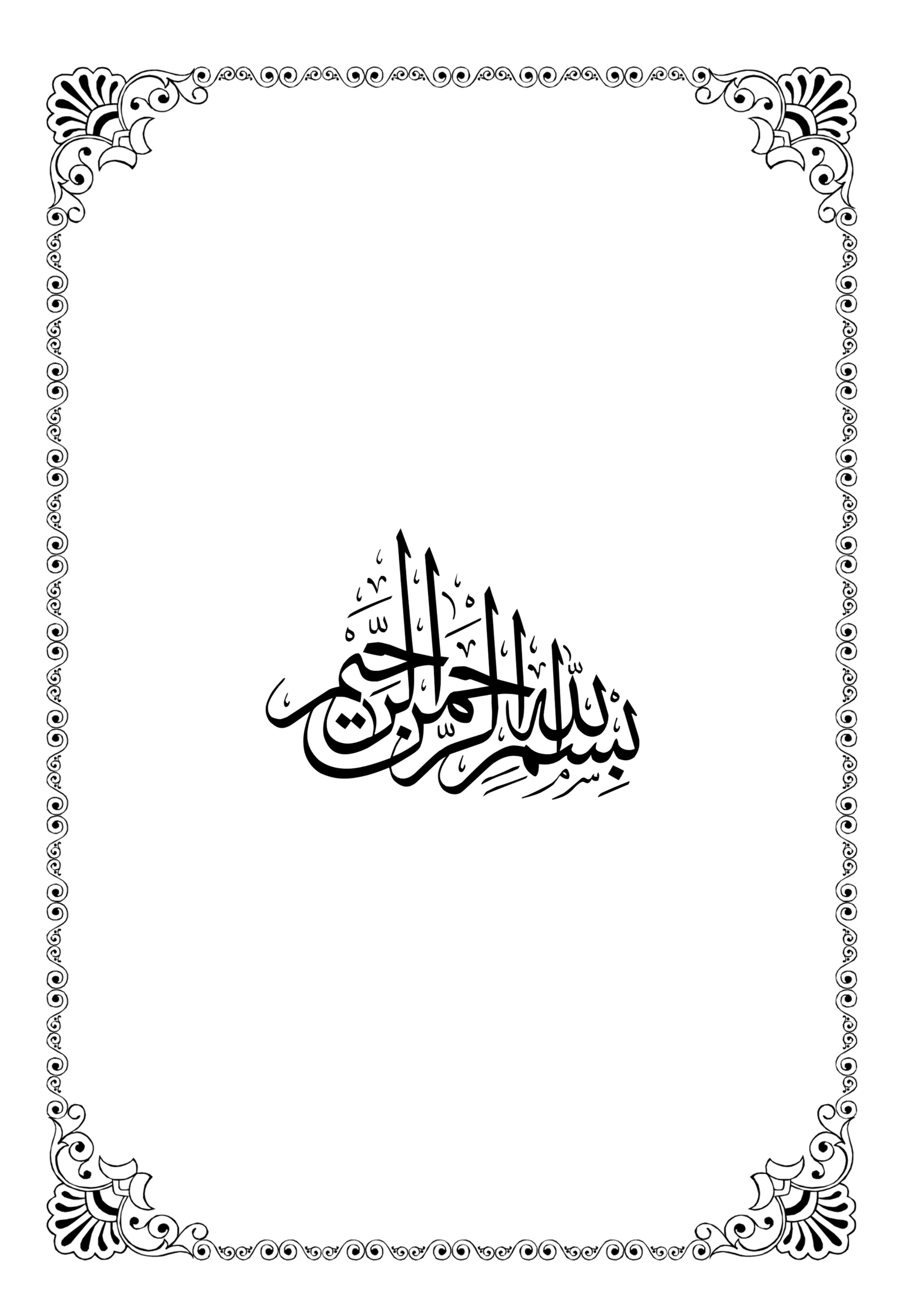
مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ (الإخلاص)

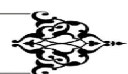
للدكتور

خالد السبت






بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعدُ، فسلامُ الله عليكم ورحمته وبركاته؛

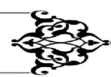
➢**أيها الأحبة حديثنا كما سمعتم بعنوان؛ (ما ذئبان جائعان)**، وهذا العنوان مأخوذٌ من حديث ثابتٍ صحيح عن رسول الله صل الله عليه وسلم يتحدث فيه عن أثر طلب الشرف والحِرص على المال على دين الإنسان.

أيُها الأحبة سيكون الحديث مُتوجِهًا في هذا المجلس عن جزءٍ مما تعلّق به هذا الحديث، وهو الكلام عن طلب الشرف وحب المحمدة وطلب الرئاسة في قلوب الخلق، وهذا الحديث أيها الأحبة كنت جمعت مادته منذ ما يزيد على خمسة عشر سنة، ولكني ما طرحته قبل ذلك.

➢ **ذكرتُ طرفًا منه في الكلام على بابِ ما جاء في الرياء في شرح كتاب التوحيد للإمام المجدّد**: محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللهُ سنة ١٤١٤هـ وذَكرتُ طرفًا من ذلك في الكلام على الإخلاص في أول الأعمال القلبية، فكان بالحديث عن هذا مُتجهًا حيث يكون جزءً أو من الحديث عن الإخلاص، ولكني في كل يوم أرى أنَّ الحاجة مُلّحة لطرق هذا الموضوع، وأنَّ النفوس **(نفوسنا جميعًا أيها الأحبة)**، بحاجةٍ إلى مُعالجة، والدواء في الغالب يكون مُر المذاق، ولكن لا بُد من تجرعه من أجل أن يحصل الشفا به بإذن الله جل جلاله.

أيُها الأحبة الحاجة ماسة إلى طرق هذا الجانب في الوقت الذي صارت فيه الفضائيات تتسابق على إبراز نماذج يمكن أن توّجه المجتمع ولم تتأهل، نحن بحاجة أيها الأحبة إلى طرق هذه القضايا في وقتٍ لربما يجد كل أحدٍ فيه الوسيلة التي يستطيع أن يصعد فيها ويترأّس وينتشر قوله في الأفاق عن طريق الوسائط والوسائل الحديثة، فيكتب



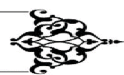



ثم يكتب ثم يكتب، وقد ترى في هذه الكتابات أو في تلك اللقاءات أو في تلك البرامج أو الأطروحات ترى فيها العجائب والغرائب، مما يتسبب عنه ضررٌ كبير على نفس الإنسان المتحدث، وأيضًا على السامعين، لاسيما أن القضية في الغالب تتعلق بالدين، فلا بد من حمايته وحراسته وأن يُحتاط له ما لا يُحتاط لغيره.

حديثنا أيها الأحبة هو رسالة نوجهها إلى من أُبتلي وكل أحدٍ أدرى بَحاله وما يعانيه من الأوضار والأدواء فيلتفت إلى نفسه التفاتة يقوّمها بها ويُصلحها، فهذا الحديث مُتوّجهٌ إلى كل مُشمِّرًا في سبيل نفسه لا في سبيل الله عَزَّ وَجَلَّ، وإلى كل مندفعٍ يطلب الرفعة والمنزلة في قلوب الخلق ولو على حساب الدين، هذا الحديث نوّجههُ إلى كل عليل القلب والفؤاد ممن يُصارع ويعارك وينافس وينافح من أجل حظوظ النفس، وليس هذا الحديث أيها الأحبة يتوجه إلى أولئك الأبرار، الأخيار الذين أرادوا ما عِند الله عَزَّ وَجَلَّ في عِلمهم وعَملهم وتعليمهم ودعوتهم، وبذلهم وإنفاقهم ونُصحهم ووعظهم فهذا كله من العامل الصالح الذي يُحبه الله ورسوله، وهم يُؤجرون على ذلك، والله يرفعهم درجات ويجزيهم خير الجزاء؛ فهؤلاء ينبغي أن يؤيدوا وأن تُقوّى عزائمهم وأن يُشد على أيديهم وأن نُعينهم بكل مُستطاع.

أيها الأحبة إنّ الطريقة الصحيحة في تلقي مثل هذا الموضوع هي أن يرجع الإنسان إلى نفسه، فإن وجد فيها ميلًا إلى شيء من هذه الحظوظ والشهوات الخفية أن يُصلحها وأن يُعالجها، والخطأ كل الخطأ أيها الأحبة؛ هو أن يتخلى الإنسان عن عَملهِ أو عن دعوته أو عن تعليمه أو عن رسالته بحُجة أنه يخشى على نفسه من هذه الأدواء، فهذا غير مُراد، ولا ينبغي لأحدٍ أن يترخص بترك العمل الذي أمر الله به ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهذه الحُجج، لكنّ المطلوب والأخذ الصحيح لمثل هذه القضايا هو أن يُجاهد الإنسان نفسه وأن يُعالج نيته وقصده وقلبه فيقّوم ذلك جميعًا على أمرِ الله جل



جلاله، هذا هو المأخذ الصحيح، فينبغي أن لا نقع في الاتجاه المعوّج، فإن كراهية الشهرة والرئاسة لا تعني ترك العمل.

إن النماذج التي سنذكرها أيها الأحبة عن السلف الصالح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ حينما يجانبون ويُجافون مثل هذه المطالب التي تتوّجه إليها النفوس الحقيرة، إنهم لم يتركوا العمل إطلاقًا بل كانوا أئمةً في العِلم والعمل ولهذا صاروا شموسًا في العالمين، ولو أنهم تركوا العمل لما صاروا وبلغوا تلك المراتب العالية، فصار الناس يترضون عنهم إلى قيام الساعة، لكنهم قرنوا العِلم بالعمل والدعوة إلى الله عَزَّ وَجَلَّ وتعليم الناس الخير حتى بلغنا هذا الدين.

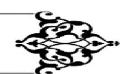
فنحن نعمل ونُعلّم وندعو ونجّد ونجتهد لاسيما في هذا الزمان الذي يحتاج الناس فيه إلى القيام بألوان الوظائف الشرعية التي يحتاج إليها الناس من التعليم والدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتأليف إلى غير ذلك، هذه أمور لا بُدَ من وجودها، ولا بُد من وجود من يخرج في القنوات الفضائية غير المشبوهة ليعلّم دين الله عَزَّ وَجَلَّ، لكن ذلك ليس لكل أحد.

لا بد من وجود من يخطب، ولكنّ ذلك لا يصلح لكل أحد، لا بُد من وجود من يُفتي لكنّ ذلك لا يصلح لكل أحد، وهكذا أيها الأحبة في سائر الأبواب، فينبغي أن ندرك هذه الأسس ابتداءً، فإذا اتفقنا على هذا يمكن أن نشرع في الحديث عن الموضوع الذي ينتظم سبع قضايا.

فأول ما نذكر فيه هو ما يتعلق بأقسام طلب الشرف، وأقصد بالشرف طلب الرفعة والمنزلة والمحمدة في قلوب الخلق، لا طلبنا عند الله عَزَّ وَجَلَّ، والثاني: في الكلام على قوة تمكن هذا الداء من النفوس، والثالث: فيما ورد من تحذير السلف رضي الله تعالى عنهم من تطلب الشهرة والرئاسة والحرص عليها، والرابع: بذكر بعض النماذج عن السلف الصالح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كيف كانوا يتجنبون كل موطنٍ يؤدي بهم إلى هذا البلاء،





والخامس: أذكر فيه بعض المظاهر التي يمكن أن نتحفظ عليها لأنها قد تكون مؤشرًا على أمرٍ غير محمود يمكن أن يوجد في نفس الإنسان، والسادس: اختبر نفسك، وأما السابع: فأذكر فيه بعض الوصايا التي أسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن ينفع بها.

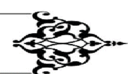
هذا العنوان أيها الأحبة مأخوذ من قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ، بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ».

الذئب إذا أُرسل على غنم فما ظنكم! ومن يعانون هذه الأمور ويعرفونها يدركون أن الذئب يحطمها جميعًا ولو كان في غاية الشبع يقتلها جميعًا ثم يذهب، فكيف إذا كان جائعًا فماذا سيُبقي، فكيف إذا وجّد معه ذئب أخر، **«مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ، بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ»**، يُفسد الدين أعظم من إفساد ذلك الذئب لتلك الغنم وحِرص أيها الأحبة على المال لا شك أنه يوقعه في مهالك ومفاسد سواء كان ذلك في طرق جمعه وتحصيله أو كان ذلك في تصريفه أو إمساكه وأداء الحقوق التي أوجبها الله عَزَّ وَجَلَّ في هذا المال.

إذ النفوس مجبولة على حُب المال: {وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا} [الفجر: ٢٠]، {وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ} [العاديات: ٨]، **(أي المال)** لَشَدِيدٌ مع شُح وافر في النفوس: {وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الحشر: ٩] فأضاف الشُح إلى النفوس لشِدة تمكنه منها فهو راسخ مُتغلغل في أعماق النفس، ولكنَّ حرص المرء أيها الأحبة على الشرف أخطر من حِرصه على المال، فإن طلب شرف الدنيا والرفعة فيها والرئاسة على الناس والعِلو في الأرض يفتك بدين الإنسان فتكًا والزهد فيه أعظم وأصعب من الزهد في المال.

النفس يُمكن أن تُفطم عن كثير من شهواتها، ويمكن أن يزهد الإنسان بالمال، ويسكن في مكان خرب ويلبس رث الثياب، ولكن الأسد رابضٌ في نفسه، فيثبُ على فريسته أعظم من وثوب الأسد الحيوان على فريسته، وذلك أن من طبيعة النفس أنها قد



تتسرب من مداخل خفية ومخارج لا يشعر بها الإنسان، فإذا فطمها عن كثيرًا من شهواتها وحظوظها تسرّبت من المخارج الخَلفية حيث تطلب الرفعة في قلوب الناس والمحمدة والمنزلة وصحابها قد لا يشعر بذلك، فيمرض قلبه بأفتك الأمراض وهو يظن أنه قد جانب الأوضار والرزايا والذنوب والمعاصي وتنزّهَ عنها وباعدها.

المال أيها الأحبة يبذله الناس من أجل تحصيل حظوظ النفس من أجل أن يسود الإنسان يبذل ماله، والشاعر يقول:

لَولا المَشَقّةُ سَادَ النّاسُ كُلُّهُمُ ... الجُودُ يُفْقِرُ وَالإقدامُ قَتّالُ!!

وهذا الكلام من هذا الشاعر ليس بصحيح ولكنه هكذا قال، والمقصود مما يتعلق بهذا البيت؛ أنَّ الناس يبذلون الأموال من أجل تحصيل السؤدة والشرف والرِفعة والرئاسة والمحمدة في قلوب الخلق، قد يبذل مئات الملايين ليُحصّل أمرٌ معنويًا، المال محبوبٌ إلى النفوس فإذا جادت به النفس بدأت النفس تتسلل إلى المخارج التي أشرتُ إليها ليعوّض ما فقده من المال، بمحمدةٍ يشتريها بدفع الأموال، وقل مثل ذلك في الجهود التي يبذلها الإنسان ببدنه أو ما يصدر عنه من مقالٍ أو كتابةٍ أو غير ذلك، قد قال شيخ المالكية في وقته سعيد بن محمد الحداد رَحِمَهُ اللهُ **"ما صد عن الله مثل طلب المحامد، وطلب الرفعة"**، ولهذا يقول سفيان الثوري رَحِمَهُ اللهُ **" السلامة في أن لا تُحب أن تُعرف"**، **والمقصود أيها الأحبة أن طلب الشرف الحرص عليه ينقسم إلى قسمين:**

<u>القسم الأول</u>: أن يطلب الشرف والرفعة عن طريق المال أو عن طريق السلطة، يريد أن يترأّس أن يكون مديرًا أن يكون مُطاعًا بشيء من الولايات التي يتولاها ليأمر وينهى؛ فمن الناس من يطلب الشرف بهذه القضايا والله عَزَّ وَجَلَّ يقول: {تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ} [القصص: ٨٣].

وابن كثير رَحِمَهُ اللهُ يقول أي ترفعًا عن الخلق وتعاظم عليهم وتجبرًا بهم، وفي هذا المعنى يقول يزيد بن عبد الله بن موهب وكان من القضاة العادلين: **"من أحب المال**




والشـــرف وخـــاف الـــدوائر، لـــم يعـــدل فيهـــا"، وكلنا نعرف الحديث الذي يرويه أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْـه عـن النبـي صَـلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ: إنَّكُـمْ سَتَحْرِصُـونَ عـلَى الإمـارَةِ، وسَـتَكُونُ نَدامَـةً يَـومَ القِيامَـةِ، فَـنِعْمَ المُرْضِـعَةُ وبِئْسَـتِ الفاطِمَـةُ، وفي حـديث أبي موسـى حيـنما قـال رجلان للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أمِّرنـا" قال "إنـا لا نـولِّي أمرنـا هـذا مـن سـأله، ولا مـن حرص عليه".

فإذا كان الإنسان يطلب هذه الأمور من أجل الرَّفعة، من أجل أن يكون أمره نافذًا فيهم، من أجل أن يتعاظم عليهم، ومن أجل أن يتذللوا له ويخضعوا له ويفتقروا إليه في حَوائجهم فهذا مزاحمٌ لله عَزَّ وَجَلَّ في ربوبيته لأن الفقر إنما يُتوّجه به إلى الله جل جلاله، ولربما عمدَ بعض هؤلاء المرضى إلى أن يضطر الناس إلى هذا الافتقار، فيحصل لهم من الأذى بسبب ما يحملهم على رجائه والخضوع له والله عَزَّ وَجَلَّ يقول: { وَلَقَـدْ أَرْسَـلْنَا إِلَـى أُمَـمٍ مِـنْ قَبْلِـكَ فَأَخَـذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَـاءِ وَالضَّرَّـاءِ لَعَلَّهُـمْ يَتَضَرَّـعُونَ} **[الأنعام: ٤٢]أي من أجل أن يتضرعوا، فالضراعة تكون إلى الله عَزَّ وَجَلَّ.**

القسـم الثـاني: وهو ذلك الإنسان الذي يطلب الرفعة في الدنيا والمحمدة في قلوب الخلق والعلو على الناس بالأمور الدينية، وهذا أسوأ من الأول، ذاك يطلبه بالمال أو بنوع ولاية وهذا يطلبه بالدين، بالعلم، بالزهد، بالتقشف، فهذا أفحش من الأول، وفساده أعظم وأخطر، فإن العِلم والعمل والزهد إنما يُطلب ذلك جميعًا رجاء ما عند الله عَزَّ وَجَلَّ لا يُطلب لشيء من الدنيا ولهذا يقول الثوري رحمه الله: "إنما فُضِّل العلم لأنه يُتقى به الله، وإلا كان كسائر الأشياء"، العلم الشرعي، فإذا طلب بشيء من هذا (الـدين) وما يتعلق به طلب به عرض الدنيا فهذا أيضًا إما أن يُطلب به المال وهذا نوع من الحرص على المال، وهو المشار أيضًا إليه بالحديث فهو طلب له بأسبابٍ محرمة يطلب الدنيا بالدين نسأل الله العافية.






وفي هذا يقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث المشهور: **من تعلَّم علمًا مما يبتغى به وجهَ اللهِ تعالى ، لا يتعلَّمُه إلا ليُصيبَ به عرضًا من الدنيا لم يجِدْ عَرْفَ الجنةِ يومَ القيامةِ**، يعني ريحها.

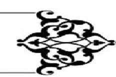
النـــوع الثـــاني: من يطلب العلم والعمل والزهد يطلب الرئاسة على الخلق والتعاظم عليهم وأن ينقاد الخلق له أن يُظهر للناس زيادة علمه وتقواه وورعه من أجل أن يعظّموه ويحمدوه، فهذا مُتوعدٌ بالنار قد استعمل آلة الآخرة في هذا المطلب الدنيء الوضيع المهين فهو أشد من ذلك الإنسان الذي استعمل آلة الدنيا بطلب رفعة ونحو ذلك، آلة الدنيا**(المال)** أو**(الولاية)** هذا استعمل دينه من أجل أن يُحصّل عرض من الدنيا دنيء، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: **"من طلب العلم ليماري به السفهاء، أو ليباهي به العلماء ، أو ليصرف وجوه الناس إليه فهو في النار"**.

وفي الحديث الأخر: **"لا تعلموا العلم لتباهوا به العلماء ولا لتماروا به السفهاء ولا تخيّروا به المجالس، فمن فعل ذلك فالنار النار"**، نسأل الله العافية، وفي الحديث الأخر المشهور حديث أبي هريرة في صحيح مسلم: **"إن أول الخلق تُسعّر بهم النار يوم القيامة ثلاثة، وذكر منهم العالم الذي قرأ القرآن ليُقال قارئ، وتعلّم العلم ليُقال عالم، فيُقال له قد قيل فيُأمر به فيُسحب على وجهه حتى يُلقى في النار"**.

وذكر مثل هذا أيضًا في المتصدق ليقال جواد، وفي المجاهد ليُقال شُجاع، ثم إن طلب الشرف والحِرص عليه أيه الأحبة يستلزم أن يُرخص الإنسان دينه قبل أن يُحصّله، يبذل الدين من أجل أن يتّرفع فليس له وجه واحد بل وجوه، فيفتي لكل أحدٍ بما يُحب، كل ذلك من أجل أن يجد الحظَوة، ثم إذا حصل له ذلك لا تسأل عما يحصل له من الآفات، من التكّبر، من التعاظم، وردِ الحق، واحتقار الناس، فيتجمل بهذا الذي حصّله، فلا ينتفع بعلم ولا ينتفع بعمل، ولا تدخل إلى قلبه موعظة، وإنما يكون همهُ ما يُثبت له ذلك ويزيده، فتجد مثل هذا يحرص على مُجالسة أهل الثراء وأهل الدنيا، ويكون هؤلاء هم الذين يحتفون







به، ويؤثرهم ويؤثر مجالسهم على من سواهم، لأنه من أهل الدنيا، ولا تسأل عن محاكته لهم في مركبه ومسكنه ومأكله ومشربه وفي أحواله كلها.

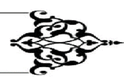
ومن ثمَّ يكون همّه وقلبه مُتوجهًا إلى مراعاة المخلوقين، لأنه إنما يطلب ما عندهم فهو لا يزال في أقواله وأفعاله ملتفتًا إلى ما يُعظّم منزلته في القلوب والنفوس، وهذا أصل الفساد، وأُس الشر، وهو مكمن الداء لأن كل من طلب ذلك في قلوب الناس لا بُد له من أن يُنافقهم، وأن يُجاريهم وأن يُرأيهم في أعماله وعبادته، وهو مُتجرأٌ على حدود الله عَزَّ وَجَلَّ، يرتكب المحظورات ويفعل الموبقات من أجل أن يقتنص القلوب.

ثانيًا في الإشارة إلى قوة تمكن هذا الداء أيها الأحبة من النفوس؛ يقول الإمام الزهري رَحِمَهُ اللهُ **"ما رأينا الزهد في شيء أقل من في الرياسة"**، وليس المقصود بالرئاسة أن يكون رئيسًا يدير مجموعة من الناس ليس ذلك بلازم، وإنما أن يكون هذا الإنسان مُعظّمًا يخضع له الناس، يقول **"نرى الرجل يزهد في المطعم والمشرب والمال، فإذا نُزِع الرياسة حامَ عليها وعاد"**، وفي هذا المعني يقول يوسف بن أسباط رَحِمَهُ اللهُ: **"لا يمحو الشهوات إلا خوف مزعج (يعني من اللّه) أو شوقٌ مقلق (يعني إليه والدار الآخرة)، ثم قال الزهد في الرئاسة أشد منه في الدنيا"**، هذا كلام من خبروا هذه الأمور وعرفوه من أئمة الهدى من السلف الصالح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

ولهذا كثر تحذير السلف من هذه البلية وهو الأمر الثالث، هذا إبراهيم بن أدهم رَحِمَهُ اللهُ يكّرر هذا المعنى بأجلى عبارة يقول: **"ما صدق الله عبدٌ أحب الشهرة"**، وأما أيوب السختياني فيقول: **"ما صدق عبدٌ قط فأحبَ الشهرة"** ويقول بشر بن الحارس: **"ما أتقى الله من أحب الشهرة"**، ويقول يحيى بن معاذ: **"لا يفلح من شممت رائحة الرياسة منه"**، ويقول ابن المبارك، قال لي سفيان الثوري: **"إياك والشهرة فما أتيتُ أحدًا إلا وقد نهى عن الشهرة"**.

وأختم بعبارة ببشر بن الحارث -رحم الله الجميع- يقول: "لا يجد حلاوة الآخرة رجل يُحب أن يعرفه الناس"، فأين الذين يتهالكون من أجل أن يُعرف، من أجل الأضواء من أجل النجومية وللأسف؛ فإن البيئة في كثير من الأحيان تدفع إلى هذا



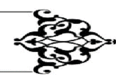
دفعًا منذُ أن يكون الإنسان في صِغره منذ نعومة أظفاره، الأم لربما تُمشّط شعر صغيره وهي ترسله إلى المدرسة فتقول: إن شاء الله تكون مشهورًا، معروفًا، ذائع الصيت ولا تذّكره بالإخبات والإخلاص وأن يطلب ما عند الله عَزَّ وَجَلَّ وأن ينفع المسلمين، وإنما أن يُعرف، أن يُذكر، أن يتحدث الناس وأن يتردد اسمه على ألسنتهم، أن تُلّتقط له الصور في كل مكان فهذا داء وأي داء!

وأما الرابع؛ فأذكر فيه نماذج من خوف السلف من الناحية العملية، يخوفون على أنفسهم من هذا البلاء، جاء عمر بن سعد بن أبي وقاص -رضي الله تعالى عن جميع أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- جاء إلى أبيه وهو في البادية، في إبله فلّما رآه سعد من بعيد قال: **"أعوذ بالله من شر هذا الراكب، فنزل، فقال له عمر يقول لأبيه سعد:** "أنزلت في إبلك وغنمك تركت الناس يتنازعون الملك بينهم!"، **فضرب سعدٌ في صدره فقال: اسكت سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول:** "إن الله يُحب العبد التقي الغني الخفي". **وهذا الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللهُ يقول:** "وددت أنه طار في الناس أني مت حتى لا أذكر، إني لأسمع صوت أصحاب الحديث فيأخذني البول فرقًا منهم"، **وكان يقول** "لما تكرهونني على أمر تعلمون أني له كاره! يعني التحديث، لو كنت عبدًا لكم فكرهتكم كان نوالي أن تبيعوني لو أعلم أني إذا دفعت ردائي هذا إليكم ذهبتم عني لفعلت".

وقال ابن محيريز لبعض أصحابه: "إني أحدّثكم **(يعني بالحديث)** فلا تقولوا حدثنا ابن محيريز إني أخشى أن يصرعني ذلك القول مصرعًا يسوؤني"، **وبكى ربيعة شيخ الإمام مالك يومًا فقيل: ما يبكيك؟ قال:** "رياءٌ حاضر، وشهوةٌ خفية"، **يقول** "الناس بين يدي علمائهم كالصبيان عند أمهاتهم"، **أو كما قال رحمه الله، وهذا ابن سيرين رحمه الله يقول لثابت البناني:** "لم يكن يمنعني من مجالستكم إلا مخافة الشهرة"، **وأيوب السختياني-رحم الله الجميع- يقول:** "ذُكرت ولا أحب أن أُذكر"، **ويقول علي بن بكار:** "لأن ألقى الشيطان أحب إليّ من أن ألقى حذيفة المرعشي، أخاف أن أتصنع له فأسقط من عين الله"، **ويقول مطرف بن عبدالله بن الشخير:** "لأن أبيت نائمًا وأصبح نادمًا





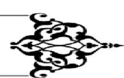


أحب إليّ من أن أبيت قائمًا وأصبح مُعجبًا"، **يقول الذهبي رَحِمَهُ اللهُ مُعلّقًا على هذا:** " لا أفلح والله من ذكّى نفسه أو أعجبته"، **وقد سئل الإمام الحافظ عبدالغني المقدسي لما لا تقرأ من غير كتاب؟ هو حافظ يستطيع أن يُملي على الناس من غير كتاب ولا ورق، فقال:** "أخاف العُجب، لأن لا يُقال حافظ"، **ودخل عم الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ عليه فقال يا ابن أخي ما هذا الغم، وماذا هذا الحزن؟ فرفع رأسه وقال:** " يا عم طوبى لمن أخمل الله ذكره".

ويقول ابن محيريز: "اللّهم أني أسـألك ذكرًا خاملًا"، وذكر الذهبي رحمه الله في ترجمة الحافظ عبدالرحمن بن محمد بن مِهران أنه كان يُخفي نفسـه ويجتهد ألا يُظهر شـيئًا لا يظهر لحديث ولا لغيره، وذُكر للأمام أحمد أنَّ رجلاً يريد لقائه فقال: "أليس قد كره بعضـهم اللقاء يتزّين لي وأتزين له، لقد اسـترحت ما جاءني الفرج إلا منذُ حَلفت ألا أحدّث وليتنا نُترك"، الطريق ما كان عليه بشر بن الحارث يقول المَرُّوْذِيُّ فقلت له: إن فلانًا قال: لم يزهد أبو عبدالله في الدراهم وحدها، زهد في الناس، فقال: ومن أنا حتى أزهد في الناس!

الناس يريدون أن يزهدوا فيّ، وألتقى سُـفيان الثوري مع الفضـيل بن عياض –رحمها الله– فتذاكرا فبكيا فقال سفيان الثوري: إني لأرجو أن يكون مجلسي هذا أعظم مجلسٍ جلسناه بركةً، فماذا قال الفضـيل بن عياض؟ قال: ترجو لكني أخاف أن يكون أعظم مجلس جلسـناه علينا شـؤمًا أليس نظرت إلى أحسـن ما عندك فتزّينت به لي وتزّينت به فعبدتني وعبدتك **(كلمة قاسـية)** لكن ينتفع بهذا الإنسـان، أن يكون الله تبارك وتعالى هو مقصـوده، إذا جلسـت مع الناس اطلب ما عند الله عَزَّ وَجَلَّ، فبكى سفيان حتى علَ نحيبه ثم قال: أحييتني أحياك الله، وهذا محمد بن يوسـف الأصـبهاني كان لا يشـتري خبزه من خبّاز واحد، إمام كبير يقول: لعلهم يعرفونني، ولكنّي إذا جئتهُ لأول وهلة لا يعرف أني فلان الذي يسـمع عنه، فتقع ليا المُحاباة فأكون ممن يعيش بدينه تحب أنك إذا جيت في أي مكان في مؤسـسـة، في مكتب، في مطار أن الناس يأتون إليك ويقدّمونك ويفتحون لك طرق، تحب هذا!



ما كانوا يحبون هذا، الخباز يتحرز من أن يحابيه الخباز، فيكون يأكل بدينيه يقول رجاء بن أبي سلمة: نُبِّئت أن ابن محيريز دخل على رجلٍ من البزازين يشتري شيئًا فقال له رجل: حاضر، أتعرف هذا! هذا ابن محيريز قال فقال: إنما جئنا لنشتري بدراهمنا ليس بديننا، فذهبت إلى السوق وعرفك البائع وأراد أن يضع لك من السعر لأنك فلان ابن فلان تفرح بهذا؟

تفرح أن تُستقبل بأحسن المراكب وتسكن في أحسن الفنادق على حساب أموال التبرعات التي تُجمع بشق الأنفس من أجل أن تُلقي موعظة للأخرين هل تفرح بهذا؟

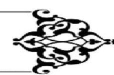
قد يحصل هذا للإنسان من غير طلب ولا استشراف، فيُعذر، لكن أن يطلب هذا أو أن يستشرف له أو أن يفرح به أو أن ينتظر الأخرين أن يقدموا ويبذلوا له، فإن لم يفعلوا وجد في نفسه عليهم، فهذا أمرٌ ينافي الإخلاص، فكيف إذا طلب ذلك صراحةً، فهذا أشد وأعظم، كان لأيوب السختياني -رحمه الله- بوردٌ أحمر يلبسه إذا أحرم وكان قد جعله أو اتخذه كفنًا أيضًا يقول حمّاد بن زيد: كنتُ أمشي معه فيأخذ في طرق إني لأعجب له كيف يهتدي لها فرارًا من الناس أن يُقال هذا أيوب.

ويقول شُعبة: ربما ذهبت مع ايوب لحاجة فلا يدعني أمشي معه ويخرج من ههنا وههنا لكي لا يُفطن له، ما يريد إذا مرّ بحي أو بسوق يقوم الناس، بل كان ينزعج جدّا إذا مرّ بقوم فألقى السلام فردوا عليه بقوة، ويسترجع ويقول: ما فعلوا ذلك إلا لأنهم عرفوني، إلى هذا الحد يقول علي بن المديني رَحِمَهُ اللَّهُ: عهدي بأصحابنا ويذكر أن أحفظهم هو الإمام أحمد -رحمه الله- يقول فلما احتاج أن يُحدّث لا يكاد يُحدّث إلا من كتاب لطرد العُجب عن نفسه.

وكما يقول سحنون رحمه الله: كان بعض من مضى يريد أن يتكلم بالكلمة لو تكلم بها لأنتفع بها خلقٌ كثير فيحبسها لا يتكلم بها مَخافةُ المُباهاة، وكان إذا أعجبه الصمت تكّلم لأنه لا حَظ للنفس عندئذ، النفس إذا كانت مستشرفة للكلام، فهذا يدل على شهوةٍ تُحرّكها، وكان الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: أحبُ أن أكون بشِعبٍ في مكة حتى لا أُعرف قد بُليت بالشهرة إنني أتمنى الموت صباحًا ومساءً.





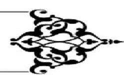



❍لكن لماذا عُرف الإمام أحمد لماذا عُرف؟ عُرف بمواقفه ما ترك العمل وجلس في زاوية وأغلق عليه الباب، لو فعل ذلك لم يُعرف ولم يُذكر، لكنه صــار إمامًا في أعماله الجبارة وعلومه الجمّة، وما حَفظ من حديث رسـول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقدوتنا الكبرى النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفي الصـــحابة، وهم أبرّ الناس قلوبًا وأعظمهم إخلاصًــا، كانوا أئمة الدنيا قاموا بأمر الله عَزَّ وَجَلَّ على الوجه اللائق على أكمل الوجوه وأحســنها، ما تركوا العمل فإياك أن تترك العمل وتظنُ أنَّ ذلك هو الإخلاص.

❍خامسًا اذكر بعض الأمور التي ينبغي للإنسان أن يتحرز منها، بعض الشباب قد يندفع، قد يتجاوز حَدهُ أو يخطو بعيدًا عن طوره، ثم بعد ذلك يقع في أمور مشينة، الاستعجال بالتأليف مظهر غير جيد ولا محمود، والإنسان لا يُدرك ضعفه وعجزه أيها الأحبة إذا أردت أن تعرف هذه القضية اقرأ مقالةً كتبتها في الإنشاء وأنت في المرحلة الابتدائية، لربما حين كتبتها أو تلك الرسمة التي رسمتها لربما تكون مُعجبًا بها غاية الإعجاب وتُطلع كل من قابلته عليها، لكن حينما تنظر إليها الآن كيف تنظر إليها؟ إنها لون من عبث الصبيان أليس كذلك؟ لكن في ذلك الوقت هل كنت تدرك هذا؟ لا ، اقرأ ما كتبته قبل عشرة سنوات إذا كنت قد وصلت في العلم والاطلاع والبحث اقرأ البحث الذي كتبته وأنت في المرحلة الثانوية مثلًا، إذا كنت قد تجاوزت هذا بكثير، اقرأ البحث الذي كتبته في المرحلة الجامعية، ثم احكم، الإنسان حينما يقرأ ما كتبه قبل خمس سنوات يتعجب كيف كتبه، ويُغيّر أشياء كثيرة جدًا هكذا الإنسان يتطور أيها الأحبة.

لكن الإنســان حينما كتب كان يرى ذلك نموذجًا رفيعًا في الكتابة، فالتسّرـع في التأليف علة وداء، اتصل ما يقرب من شهرين أو نحو ذلك شاب يسأل يريد أن يؤّلف في بابٍ من الأبواب، ويسأل عن المراجع وماذا يكتب، فتعجبت كيف يريد أن يؤلف ولا يعرف المصـادر، وكيف يكتب؟ فسـألتهُ عن عمره فقال سبعة عشرـ سنة ولماذا تكتب؟ قال: نريد أن نؤلف شيء ينفع الأمة، لماذا الاسـتعجال في الكتابة والتأليف حتى المقالات في الانترنت قد يكتب الإنســان وقد يجد بعض المادحين، وتجد هذا



الإنســـان لربما في المنتديات يدخل بعد يمكن في الســـاعة الواحدة يدخل عدة مرات لعل أحدً علّق ومدح هذه المقالة.

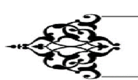
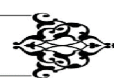
ولربما يكتب بأكثر من اسم ويعلّق على نفسه؛ **(مشاء الله. ما هذه الكتابة الجيدة وما هذا؟)**، ويمدح نفسه نسأل الله العافية وهذا يوجد، والكتابة إذا قرأها أحد ممن له بصر في العلم يرى أنها كتابة يعرق لها الجبين من ضـعفها في اللغة وضـعف المحتوى وكثرة الأخطاء الإملائية واللغوية، لكنه لا يشعر، هو يرى أنه ولا ابن قتيبة حينما يكتب مثل هذه المقالة ويحرّرها وينزّلها في ساعةٍ من ليل أو نهار ولربما يعتب على الآخرين، لماذا لم يُعلّق أحد تشاهدون هذا في المنتديات لماذا يفعل الإنسان ذلك.

وهكذا أيضًا الإغراب أيها الأحبة؛ قد يشتغل الإنسان ببعض المسائل الشاذة أو الأغاليط أو المســائل الغريبة، فإذا حضرــ في مجلس طرحها، لاســيما إذا أُبتلي بأن يقبل عليه وعلى مجالســه بعض الصـغار ممن يكّبر في عينهم الصـغير فيعظّمونه ويمدحونه ويشـيّخونه، "فيتزبَّب قبل أن يتحصرـم"، فهذا بلاء إذا لم يتفطّن الإنســـان له قد يقع في مهالك، قد يكون عِنده شيء من الذكاء أو من الهمة العالية، لكنّ ذلك يقضيـ عليه من أوله، ينتهي حفظ الغرائب من المســائل وطرح ذلك في المجالس، ولربما يحرص الإنسان أن يظهر قوة حِفظه كان بعضهم يحدّث عن نفسه أنه لربما جاء وهو في دراسته الجامعية في أولها في أول ســنة يحفظ الابيات الأولى من الشــاطبية والأبيات الوســطى منها والابيات الأخيرة، هو يُحدّث أحد زملائه، فهو في السنة الأولى في أول يوم من الدراسة.

يأتي الشـيخ ليشرـح له من الشـاطبية فياتي يبتدر هذا ليقول الابيات اللي تتعلق بالمعني الذي شرحه فيذكر له من أخرها أو من وسـطها، فيندهش الناس من سـمعه ويقولون هذا يحفظ الشـاطبية كاملة فهو لا زال في أول أســبوع من الدراســة هو لا يحفظها، لكنه يتعمد أن يحفظ من هذا ومن هذا ومن هذا لماذا؟ لربما يعرف أنه هو الذي سـيُدعى ليقدم المحاضرة الفلانية لفلان من الناس، فيذهب ويحفظ بعض العبارات من كتبه حفظًا ثم يتمنع من التقديم، كأنَّه قد فوجئ به، فإذا أُلح عليه جاء وقال: كأني بك ويتحدث مع المحاضر، وأنت تقول في الكتاب الفلاني كذا وكذا، وأنت تقول في





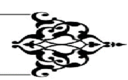
الكلام الفلاني كذا وكذا، فيندهش الحضـــور ما هذه الذاكرة والحافظة القوية وهو يحتال بهذه الحيل من أجل أن يقول الناس عنه بأنه حافظ.

➤**وقد يحفظ بعض الأبيات من ألفية ابن مالك أو من ألفية العرقي أو من ألفية السيوطي في علوم الحديث أو في مرق السعود أو غير ذلك،** يحفظ بعض الأبيات ثم يذكُرها أو يحفظ حديثًا بالإسناد ويتعمد أن يذكره بالإسناد، لا حاجة لذِكره بالإسناد، فيذكر هذا بالإسناد من أجل أن يُقال حافظ، والله عَزَّ وَجَلَّ أعلم بالنوايا أيها الأحبة، الله أعلم، لكن أقول من عرف ذلك من نفسه فينبغي أن يكف، وهكذا قد يُكثر الإنسان من جمع الكتب المطبوعة والمخطوطة ويُنفق الأموال الطائلة في ذلك وهو لا يقرأ شيء منها، إذا كان لا يقرأ شيء منها ولا ينتفع بها إنما يريد أن يُقال: فلان عنده خزانة عظيمة، تُذكر مكتبته أنها أكبر مكتبة في البلد إذا كان يريد هذا، إنسان لا يقرأ ولا ينتفع ليس هّم إلا جمع الكتب وجمع الأسانيد، والحِرص على المخطوطات وهو عامي في العلم لا ينتفع بهذه الكتب، ما الفائدة منها، ولماذا هذا الحِرص على جمعها، ولماذا الحرص على جمع هذه الأسانيد وهكذا.

الاشتغال بنقد الأكابر، الإنسان قد يُقعده عجزه وضعفه وعمله عن بلوغ المراتب العالية فماذا يصنع؟ إذا كان هذا الإنسان ممن لا خلاق له، فإنه قد يتسلق إلى القمم برشقها بالحجارة هو لا يستطيع أن يصعد إلى القمم، فماذا يصنع؟ يشغب على إمام كبير ويشتغل بالطعن فيه ونقده والحطّ منه، فيُعرف بأن من تكلم في فلان ذاع ذلك المقالُ في الناس واُشتهر، فهو يُريد أن يُعرف ولو بالبول ببئر زمزم، الطعن في الأكابر القدح فيهم في أئمة الهدى في العلماء مصابيح الدُجى هذه علةٌ عليلة وداءٌ وبيل يحصل به المحق في الدنيا قبل الآخرة، نسأل الله العافية.

وهكذا أيضًا لربما يتصنع الإنسان ويحاول أن يُظهر شيء من الأعمال التي تدل على زهده أو على ورعه أو على خشيته من الله عَزَّ وَجَلَّ ويظن أن ذلك بالمظهر، ولهذا قال أبو سلمة بن عبد الرحمن: لم يكن أصحاب رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منحرفين ولا



متهاوتين، وكانوا يتناشدون الشعر في مجالسهم، ويذكرون أمر جاهليتهم، فإذا أُريد أحدٌ منهم على شيء من أمر دينه، دارت حماليق عينيه كأنَّه مجنون.

ونظر عمر رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه إلى شابٍ قد نكّس رأسه فقال له: يا هذا ارفع رأسك، فإن الخشوع في القلب، ومن الأبيات التي تُنسب للشافعي -رحمه الله-:

وَدَعِ الَّذينَ إذا أَتَوكَ تَنَسَّكوا ... وَإِذا خَلَوا فَهُمُ ذِئابُ خِرافِ

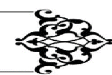
وهكذا أيها الأحبة لربما يتزّيَ الإنسان بزي العلماء ولم يبلغ مراتبهم، وتجد الشاب الصغير الذي لا زال حدثًا يلبس لباس العلماء، يلبس عباءتهم ويتصنع هديهم ويتكلف أمورًا لا تصلح لِمثله، فهذا مظهر أيها الأحبة ينبغي أن نتجّنبه، وأن نُحاذره فلا نقع في شيء من ذلك، الإنسان أيها الأحبة لا يعظم ببذلة يلبسها أو بمركب يركبه، **وهذا يقول الإمام القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ صاحب التفسير**: تبًا لهمةٍ ترتفع بثوب أو مركب، إنما يرفع الإنسان العمل الذي يُراد به وجه الله عَزَّ وَجَلَّ والعِلم الصحيح المُستقى من الكتاب والسنة.

قدر كل إنسان أيها الأحبة هو بحسب ما يُحسّن ليس باللباس، قد يكون عَالمًا ولا يفعل شيء من ذلك ويعرف الناس فضله وعلمه وهذه أمور لا تخفى وهكذا أيضًا التسارع إلى الفُتية قبل التأهل يُفتي، ومثل هذا عادةً لا يعرف أن يقول: لا، ولربما لو وجّه إليه سؤال وهو يُعلّم قد تصدر للتعليم قبل أوانه، فلربما يُجيب بغير علم، وإذا تورّع لربما يقول هذه مسألة مهمة أرجوا أن تذكره في أخر الدرس من أجل نجيبك عليها من أجل أن ينسى أو يقول ابحث هذه المسألة وراجعها فهي بغاية الأهمية وهو يريد ان يتخلص لا يريد أن يقول له: لا أعرف، لم أفهم هذا، لا أدري ما الجواب ومن أخطأ لا أدري أصيبت مُقاتله.

وللأسف يوجد بعض من يتكلم عن التربية في العصر الحديث، ويرى أن ذلك من المخارج الصحيحة ومن المهارات التي يُجيدها ويُحسنها من يتصدر للتعليم إذا وّجه إليه سؤال وهو لا يعرف الجواب عنه، هذا عبد الرحمن بن أبي ليلة رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: "أدركتُ مئة وعشرين من أصحاب رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُسأل أحدهم عن المسألة فيرّدها هذا إلى هذا وهذا إلى هذا حتى ترجع إلى







الأول"، جاء رجل إلى إبراهيم النخعي رَحِمَهُ اللَّهُ وسأله عن مسألة فقال: "ما وجدت من تسأل غيري!".

وأما الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ فيقول: ما أفتيتُ حتى سألت سبعين شيخًا هل ترون لي أن أفتي! قالوا: نعم، فقالوا له: فلو نهوك، قال: لو نهوني انتهيت، وانظروا فيما ذكره الشاطبي رَحِمَهُ اللَّهُ وكذا ابن عبد البر في جامع بيان العلم، من أنواع الوقائع التي يُسئل فيها الإمام مالك عن عشرات المسائل، ويجيب بلا أدري، لربما لا يجيب إلا عن مسألة أو مسألتين، وقال رجلٌ للإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ إني حَلفت ولا أدري كيف حَلفت، قال: ليتك إذا دريت كيف حلفت دريت أنا كيف أُفتيك، فهذه سجية السلف كما يقول ابن الجوزي، فمن نظر في أخبارهم وسيرهم، تأدب بآدابهم، وقل مثل ذلك في مظاهر وأمور وأحاول كثيرة جدًا يعرف بها الإنسان نفسه، هل وقع له شيء من هذا الداء وأُصيب بشيء من هذا البلاء أو لا.

ولهذا أقول سادسًا: اختبر نفسك حينما تكتب ماذا تريد بهذه الكتابة؟ ألفّت كتابًا أو كتبت مقالة في مجلة أو صحيفة أو موقع إلكتروني أو غير ذلك، فإبليس قد لبّس على كثير من الخلق وقعد لهم في طريقهم إلى الله تبارك وتعالى كما يقول ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ، يقول: "فيسهرون ليلهم ويدأبون نهارهم في تصانيف العلوم، ويريهم إبليس أن المقصود نشر الدين، ويكون مقصدهم الباطن الذكر وعلو الصيت والرئاسة وطلب الرحلة من الآفاق إلى المصنف".

⇦ **كيف نعرف هذا؟** إذا كان الإنسان يريد ما عند الله أو لا يريد ما عند الله يقول: ينكشف هذا التلبيس، بأنه لو انتفع بمصنّفاته الناس من غير نسبة ذلك إليه أو تردد إليه أو قُرئت على نظيره في العلم، فإنه يفرح بذلك، إذا كان مقصوده نشر العلم، ولهذا الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: وددت أن الناس تعلموا هذا العلم وما نُسب إليّ منه حرف واحد. هذا هو الإخلاص، كيف تجد نفسك حينما يتوجه الناس إلى غيرك إذا كنت خطيبًا، فوُجد مسجد آخر انجفل الناس إليه، إذا كنت تُحاضر ويحضر لك الحشود تمتلئ الجوامع، ثم جاء من هو أعلم منك وأفصح لسانًا وأعظم بيانًا فتوّجه الناس إليه، إذا كنت تُعلم في





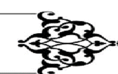

حلقة في مجلس من مجالس العلم فوُجد من هو أعلم منك فذهب التلاميذ إليه كيف تجد نفسك؟ هل تحزن؟

من كان مخلصًا فإنه يفرح بنشر الدين وإقبال الناس على الخير سواءٌ كان ذلك جاريًا على يديه أو على يد غيره، لكن من كان في نيّته شيء فإنه لربما يحارب غاية المحاربة، هذا الإنسان الذي يعلم أنه أعلم منه وأتقى لله عَزَّ وَجَلَّ وأطوع، لأنه نافسه في مجال وتخصصه سواءٌ كان ذلك في خطابة أو في مجلس علم أو في إلقاء محاضرةٍ أو كان ذلك بأي لون من ألوان النشاط، العِراك الذي يقع أحيانًا بين الناس لا لأمرٍ ديني، وإنما لحظٍ نفساني، هذا قد يقع، يقع لدى من يرّتب المحاضرات، من يستضيف أهل العلم والدعاة أو لغير هؤلاء.

إذا كان الإنسان يريد ما عند الله عَزَّ وَجَلَّ، فالمقصود هو نشر الخير أن يُقبل الناس على الخير أن يحصل هذا الخير على يديه أو على يد غيره، فإذا بدر منه ما لا يليق، فإن ذلك قدحٌ في الإخلاص، والإنسان أيها الأحبة قد يبذل أعمالًا كثيرة وأوقاتً طويلة ثم بعد ذلك يُعذّب على هذا لأنه ليس له فيه نية، هل تحب أن يمشي الناس معك وخلفك ويجتمعوا ورائك؟ هذا أبيّ بن كعب -رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه- أتاه طلاب العلم ثم قام فقاموا يمشون خلفه، فجاء عمر -رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه- وزجرهم وضربه بالدرة، فأتقاه بذراعيه وقال: يا أمير المؤمنين ماذا فعلنا؟ قال: أوما ترى؟ يعني فتنة للمتبوع ومذّلة للتابع، أراد أن يُعالج هذا من أوله.

وخرج ابن مسعود -رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه- من منزله، فتبعه جماعة فألتفت إليهم وقال: على ما تتبعوني؟ فوالله لو تعلمون ما أُغلق عليه بابي ما تبعني منكم رجلان، وفي لفظ أنه قال: ارجعوا فإنه ذلة للتابع، وفتنة للمتبوع، ومشوا خلف علي -رَضِيَ اَللَّهُ عَنْه- فقال: عنّي خفقَ نِعالكم، فإنها مفسدةٌ لقلوب نوك الرجال، وكان محمد بن سيرين -رحمه الله- إذا مشيَ معه الراجل قام **(وقف يعني)** فقال لك حاجة؟



فإن كانت له حاجة قضاها، وإن عاد يمشي معه قام فقال: ألك حاجة؟ كان إبراهيم النخعي رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: إياكم أن تُوطأ أعقابكم، لأنه كما قال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ : إن خفق النِعال حول الرجال قلما يلّبس الحمقى، وهما النوكا الذين ذكرهم علي-رَضِيَ اللَّهُ عَنْه وأرضاه- ، شُعبة بن الحجاج ذكرت لكم خبره مع أيوب السختياني، كان أيوب لا يدع أحد يمشي معه، يخرج من هاهنا وهاهنا لكي لا يُفطن له، ولمّا دخل الإمام عبدالرحمن بن بوندار كرمان شيّعه الناس، فصرفهم وقصد الطريق وحده وهو يقول:

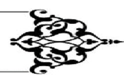
إذا نَحْنُ أَدْلَجْنا وأنتِ أمامَنا كَفى لِمَطايانا بِذِكْراكِ هادِيا

وكان الإمام محمد بن عمر المديني: يمنع من يمشي معه أيضًا، وكذلك الإمام أحمد إذا مشى في الطريق يكره ان يتبعه أحد ويقول: أشتهي مكانًا لا يكون فيه أحدٌ من الناس، وهذا عبد الرحمن بن مهدي رَحِمَهُ اللَّهُ قام من المجلس فتبعه الناس، فقال: يا قوم لا تطؤوا عقبي، ولا تمشنّ خلفي ثم روى بسنده عن عمران، قال: "إن خفق النِعال خلف الأحمق، قلما يبقّي من دينه".

🗍 هل تُحب أن يجتمع الناس إليك؟ تفتح درسًا ويحضر خلائق، هل تُحب هذا؟ من الناس من قد يقول: نعم، من أجل أن ينتشر الخير، ويأخذ الناس عنَّي العلم، الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: لو رأيتُ رجلًا اجتمع الناس حوله، لقلتُ هذا مجنون، من الذي اجتمع الناس حوله؟ لا يحب أن يجوّد كلامه لهم، فكان السلف -رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهم- يدفعون عنهم كل ما يوّجب الإشارة إليهم، ويهربون من المكان الذي يُشار فيه إليهم.

🗍هذا يوسف بن أسباط رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: خرجت من سبج راجلًا حتى أتيتُ نصيصة وجرابي على عنقي، فقام ذا من حانوتَة يُسلّم عليّ، وذا يُسلم عليّ، فطرحت جرابي ودخلت المسجد اصلي ركعتين، فأحدقوا بي واطلع رجلٌ في وجهي فقلت في نفسي: كم بقاء قلبي على هذا، فأخذت جرابي ورجعت إلى سبج، يقول ما رجعت قلبي إليّ إلا بعد



سنتين، وهذا الأعمش يقول: جاهدنا، حاولنا بإبراهيم يعني النخعي حتى نُجلسه إلى سارية من سواري المسجد ليأخذوا عنه، قال: فأبى، وكان الحارث بن قيس الجُعفي يجلس إليه الرجل والرجلان فيحدثهما فإذا كثروا قام وتركهم، وقالوا لعلقمة لو صلّيت وجلسنا معك فتُسأل قال أكره أن يُقال هذا علقمة، وكان خالد بن معدان إذا عَظمت حلقته، قام وانصرف كراهة الشهرة، وكان أبو العالية رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذا جلس إليه أكثر من أربعة قام.

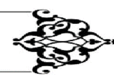
حينما نذكرُ مثل هذه القضايا أيها الأحبة نقول: من أجل أن نعالج قلوبنا، وإلا فمعلومٌ أن من أئمة السنة من كان يحضر له في تراجم بعضهم أكثر من مئة ألف، وتبع إسحاق بن راهويه لمّا خرج من بغداد ما يقرب من خمسين ألفًا فرّدهم، فالمقصود أيها الأحبة أن مثل هذه الأمثال، ينبغي أن يأخذها الإنسان بطريقةٍ صحيحة عَلّم العِلم إذا كنت مُؤهلًا تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر لكن لا تطلب حظوةٌ عند الناس، لا تطلب منزلةً في قلوبهم.

وضابط هذا أيها الأحبة؛ هو أن من الناس من إذا لم يحضر درسًا له إلا ثلاثة أو أربعة أو خمسة أو عشرة ربما يغضب ويقع في قلبه ضغينة وغِل لإخوانه من طلبة العلم، فيُعرّض بهم تارة ويقدح بهم ويتكلم في أعراضهم، ولربما يشير إلى بعض الأمور أنهم ما جاؤوا إلى فلان أو فلان إلا من أجل كذا أو كذا في أمور هو أول من يعلم أنها باطلة، فلماذا؟ فقيه العصر إمام رَحِمَهُ ٱللَّهُ كم كان يحضر في درسه سنوات طويلة ما يحضر إلا أفراد قلة سنوات طويلة، ثم في أخر السنوات صار يحضر جمعٌ من طلبة العلم، لكن مهما يكن من أمر، فإن هؤلاء الذين يحضرون لا يكافؤون قدره ومنزلته وعِلمه وفقههُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ لكن كم يحضر لربما لمغنٍ أو مغنية لربما يحضر عشرات الألوف أليس كذلك؟

والذين يتابعون القنوات لربما ملايين لبرنامج غنائي أو أشعار أو نحو ذلك، فليست العِبرة بهذا أيها الأحبة، الشيخ الجبرين الشيخ عبد الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ من علماء العصر بقي سنوات طويلة لا يحضر له إلا طالب واحد وما انقطع، أحد العلماء في هذا العصر








استضافهُ أحد طلبة العلم ليُلقي محاضرة في أكبر جامع في البلد، في السوق، وفي صلاة المغرب والجامع يكاد يمتلئ، فخرج الناس ولم يبقى إلا المؤذن، والذي استضافه ورجل أخر ثلاثة أو أربعة فقط، وما تغيرت نبرته وما اختصر المحاضرة وقدّمها كاملة إلى أذان العشاء.

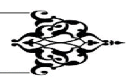
فهذا يدل على ماذا أيها الأحبة؟ هذا يدل على الإخلاص العظيم في نفوس هؤلاء فلماذا يغضب الإنسان أحيانًا إذا كانت النفس تتوتر بمثل هذه المواقف، فهذا يدل على أن هناك خلل يحتاج إلى معالجة، هذا عبد الرحمن بن مهدي يقول: كنت أجلسُ يوم الجمعة فإذا كثر الناس فرحت، وإذا قلّو حزنت، فسألت بِشرَ بن منصور، فقال هذا مجلس سوء فلا تعد إليه، فما عدت إليه، هل تحب أن ينتشر قولك؟ وأن يتناقله الناس عبر رسائل الجوال وعبر الإنترنت وعبر، هل تُحب هذا؟ إذا كنت تُحب هذا فهذا يدل على إشكال خلل في النفس.

📖أخيرًا أذكر بعض الوصايا أيها الأحبة:

الوصية الأولى: أن يكون لك نية، ينبغي أن يكون للإنسان نية في كل شيء، إذا كان يتكلم إن أعجبهُ كلامه فليصمت، وإن أعجبه الصمت، فلينطق ولا يفترُ عن محاسبة نفسه، فإنها تُحب الظهور والثناء كما قال الإمام الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ يقول عبيد الله بن ابي جعفر: إذا كان المرء يُحدّث في مجلس، فأعجبه الحديث فليمسك، وإذا كان ساكتًا فأعجبهُ السكوت، فليتحدث.

وهكذا أيضًا يقول الفُضيل: إذا جلست فتكلمت، فلم تبالي من ذمك ومن مدحك فتكلم، وإلا فقد يحصل خلافٌ مقصود، كما يقول الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ كم من رجل نطق بالحق، وأمر بالمعروف فيسلّط الله عليه من يؤذيه لسوء قَصده وحبه للرئاسة الدينية، فهذا داءٌ خفي سارٍ في نفوس الفقهاء، كما أنه داء سارٍ في نفوس المنفقين من الأغنياء وأرباب الوقوف وهكذا أيضًا في نفوس الخلائق ، يقول: فمن طلب العلم للعمل كسره العلم وبكى على نفسه، ومن طلب العلم للمدارس والإفتاء والفخر والرياء تحامق واختال وازدرى بالناس وأهلكهُ العُجب ومقتته الأنفس.



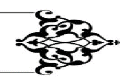
الوصية الثانية: احرص على إخفاء العمل قدر المستطاع، لا تظهر عملك للناس، لا بطريقٍ مباشر ولا بطريقٍ غير مباشر، لا تُرسل رسائل للناس بطريقة غير مباشرة، أنك تقوم الليل وتصوم النهار، أو أنك تنفق أو تبذل أو غير ذلك، كما قال الذهبي -رحمه الله-: ليتقِ الله رجلٌ، فإن زهد فلا يجعلنّ زهده عذابًا على الناس، فلأن يُخفي الرجل زهده خيرٌ من أن يُعلنه، لا داعي للحديث عن هذا، فخير العمل أخفاه كما يقول الفُضيل، وأمنعه من الشيطان، وأبعده من الرياء، أخفي حسنتك هذه وصية أبي حازم رَحِمَهُ اللَّهُ أخفي حسنتك كما تُخفي سيئتك، ولا تكوننَّ مُعجبًا بعملك فلا تدري أشقيٌّ أنت أم سعيد، لا تعمل لتُذكر، اكتم الحَسنة كما تكتم السيئة هذه وصية بِشر بن الحارث.

هذا أبو الحسن القطّان رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: أُصبت ببصري **(عميّ)** وأظن أني عُقبت بكثرة كلامي أثناء الرحلة **(الرحلة في طلب العلم)** يقول الذهبي: صدق والله، فإنهم كانوا مع حُسن القصد وصحة النية غالبًا يخافون من الكلام وإظهار المعرفة، وكلكم يعرف خبر عبد الله بن المبارك لما خرج إلى العِلج الذي قتل جمعًا من المسلمين في المبارزة، فقتله ابن المبارك وتلّثم، فاجتمع عليه الناس فلما جاء رجلٌ وأخرج وجهه عاتبه على ذلك، وكلنا نعرف أيضًا خبر ذلك الرجل الذي فتح ثغرة في الحصن، نقبًا ودخل وفتح باب الحصن للمسلمين بعد ما طال الحصار لأولئك الكفار، فالقائد مَسلمة يريد أن يعرف هذا الرجل وأقسم على الناس أن يُبدي هذا الرجل نفسه، فجاء رجلٌ بليل وطرق بابه واشترط عليه أنه إذا أخبره فلا يبحث عنه بعد ذلك أبدًا.

فعاهده فأخبره، فكان القائد مسلمة يقول: اللّهم أحشرني مع صاحب النفق، ما قال أريد درعًا، أريد شهادة، أريد جائزة، أريد تكريم، لا يريد ألا يُعرف، يقول محمد بن واسع رَحِمَهُ اللَّهُ إن كان الرجل ليبكي عشرين سنة وامرأته معه لا تعلم به، وكان أبو وائل يقوم الليل ويبكي ويناجي طويلًا وينشج نشيجًا لو أُعطي الدنيا على أن يبكي وأحد يراه، لم يفعل، وكان الرجل لربما يكون مع إخوانه، فتجيئه العَبرة فيردها، ثم تجيئه فيردها، ثم تجيئه فيردها، فإذا خشي أن تظهر قام وترك المجلس، وكان أيوب ربما حدّث في الحديث








فيرق وتدمع عيناه وتخنقه العَبرة فيجعل يتمخط، ويقول ما أشد الزكام لأن يُقال يبكي من خشية الله**(رقيـــــق)** فأين هذا الذي يتباكى أمام الناس، أمام الجموع من المصلين يتكلف البكاء.

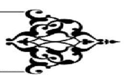
يتكلفُ البُكا، الإنسان الذي يغلبهُ البُكا، يُحاول أن يدفعهُ أمام الناس، فإذا غُلب، فالأمر لله من قبل، ومن بعد؛ لكن أن يتصنع البُكا أمام الناس، مَن أراد أن يتباكى، فليتباكى بين أربعة جُدران، حيث لا يراه أحد، من أجل أن يُحصل البُكا، أما أن يتباكى أمام الجِموع، من المُصلين، فهذا أمرٌ لا تنضبطُ معهُ النية أيها الأحبة.

يَصعُب هذا، أخبارهم في هذا كثيرة، كيف كان يُخفون العَبرة، ويدفعون البُكا، بل إنَ الإمام محمد بن إسماعيل البخاري، صاحب الصحيح، تصدق على رجل، فأراد الرجل أن يرفع يديه ويدعو، فيسمع الناس، فقال لهُ: "أُرفُق"، كي لا يعلم أحد بذلك، ما أراد منِه، أن يقول أنت أحسن إلِي، وهذا تصدقَ علِي.

كانوا يُخفون زُهدهم، وعبادتهُم، بخلاف مَن اُبتلي بشيء من هذه الأدواء، ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ يقول: إنهُ رأى رجلٌ، يُصلي بالناس الناس الصبح، يقول: بمُجرد ما استدار إلى الناس، قرأ بالمعوّذتين، ثم رفع يديه، يدعو دعاء الختمة، ليعرف الناس، أنهُ قد خَتم.

الوصية الثالثة لا تطلب من المخلوقين شيئًا: المخلوق ضعيف أيها الأحبة، إذا أردتَ أن تعرف ضعف المخلوقين، انظر مِن الطائرة، ترى السيارات مثلُ اللُعب، والمصانع مثل عُلب الكبريت، والطُرق مثل الخطوط في القلم، فأين المُتكبرون؟ أين المُتعاظمون؟ أين المغرورون؟ أين المُعجبون في هذه النُقط الصغيرة؟ انظُر إليهم، مِن سطح الحرم، وهم يطوفون، نُقط، هل تُميّز وجه هذا مِن وجه هذا؟ ما ترى إلا هذا الرِداء، رِداء الإحرام، بيش كل لحظة ولحظة، نُقط، مثل الذَر، أُنظر إلى وجوههم عند جمرة العقبة، في يوم النَحر، أُنظر إليهم، وأنت على جبل في مِنى، وهم يذهبون إلى الجِمار في خطوُط، كأنهم الذَر.



رأيتم هذا؟ هؤلاء هم الخلق، فلا تعمل من أجلهم، ولا تطلب ما عِندهم، هم مساكين، لا يملكون لأنفسهِم ضرًا ولا نفعا، أُطلب ما عند الله عَزَّ وَجَلَّ الكبير، العظيم الأعظم، ما عندهم شيء، هذا عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللهُ في الحج، كتب كتابًا، يأمُر بالتوسيع على الناس، والتسهيل عليهم، وردّ المظالم، ونحو ذلك.

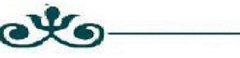
وكتبَ معَه: لا تحمدوا على ذلك كِله، إلا الله، فإنهُ لو وَكلني إلى نفسي، كنتُ كغيري، ألا يُطريه أحد بذلك، ولهُ حكاية مشهورة مع امرأة، فقيرة معها بنات، فطلبت مِنه، أن يَفرض لبناتها شيئًا من العطاء، أربع بنات، ففرضَ للأولى، فجلست تحمد لله عَزَّ وَجَلَّ.

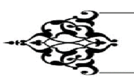
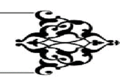
ثم الثانية، فَحمدت ربها تَبَارَكَ وَتَعَالَى ثم الثالثة، فَشكرت الله عَزَّ وَجَلَّ وشَكرت عمر بن عبد العزيز، فقال: إنما كُنّا نفرض لهُن، حيث كُنتِ تولين الحمدَ أهلهُ، يعني لله عَزَّ وَجَلَّ فَمُري هذه الثلاث يوسينَ الرابعة؛ لأنها حمدتهُ، وأثنت عليه، يقول احمدي الله عَزَّ وَجَلَّ فقط.

الوصية الرابعة لا تَغتر بمدحِ الناس: هم ينظرون إلى ظاهرك، والله ينظرُ إلى باطِنك، وما يُغني عنك مدح الناس، إذا كان عَزَّ وَجَلَّ ثد سخطَ عليك، ولهذا يقول مالك بن دينار رَحِمَهُ اللهُ: "منذُ عرفت الناس، لم أفرح بمدحهِم، ولم أكره ذمِهم؛ لأن حامدهُم مُفرِط، وذامِهم مُفرط".

وقال رجل لابن عمر: "لا يزال الناس بخير ما أبقاك الله لهم"، قال: نعم، أنت الذي تعرف، بأهل الفضل، فضلهم، لا غِضب، وقال: "إني لأحسبكَ عراقيًا، وما يُدريك، ما يُغلق عليه ابن أُمك بابهُ"، وجاءهُ رجل، وقال: "يا خير الناس، وابن خير الناس"، فقال: "ما أنا بخير الناس، ولا ابن خير الناس؛ ولكني عبدٌ من عباد الله، أرجو الله، وأخافهُ، والله لا تزالوا بالرجل، حتى تُهلكوه".

هذا ابن عمر، يصلُح للخلافة، إمام من أئمة العلم، والدين، قال المروذي للإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ: "إني لأرجو أن يكون يُدعى لكَ في جميع الأمصار"، فقال: يا أبا بكر، إذا

عرف الرجل، نفسَه، فما ينفعهُ كلام الناس، ولما قالوا لهُ، إنا أهل الثغور، يضربون بالمنجنيق، ويقولون: هذا عن الإمام أحمد، منجنيق، مِدفع، يضربون حصون الكفار، ويقولون: هذا عن الإمام أحمد.

فقال: "أرجو ألا يكون هذا استدراجًا"، وبلغَ إبراهيم الحربي رَحِمَهُ اللهُ أن قومًا من الذين كانوا يُجالسونهُ يُفضلونهُ عن الإمام أحمد، فقررهم بهذا، وسألهم عنه، فأقروا، فقال: "ظلمتموني بتفضيلكم لي، على رجلٍ لا أُشبههُ، ولا ألحق بهش في حالة من أحواله"، ثم أقسم بالله، ألا يُسمعهم شيئًا من العلم أبدا.

فقال: "لا تأتوني بعد يومكم"، ما فرحَ بهم وقال أنتم التلاميذ البررة، تمدحون شيخكم، تُقدرونهُ، تعرفون منزلتِه، وهذا الإمام الحافظ، محمد بن أحمد البغدادي، لما عَلم أن ابن عقيل الحنبلي، يجعلهُ من أولياء الله، قال: "اِغتر الشيخ"، وقيل لأبي بكر الخطيب: أنت الحافظ، أبو بكر؟ سألهُ رجل.

قال: انتهى الحظ إلى الدارقطني، وقرأ أحد المُحدثين عن الإمام الحافظ، إبراهيم بن سعيد الحبال، فقرأ، وقال: ورضي الله عن الشيخ الحافظ، يقصد الشيخ الذي يقرأ عليه، فقال: "قُل رضي الله عنك، إنما الحافظ، الدارقطني، وعبد الغني"، يعني عبد الغني المقدسي.

وهذا الإمام الحافظ، أحمد بن الحسن بن خيرون البغدادي: كتبوا مرة لهُ، الحافظ، فلان الحافظ، فغضب وضرب عليه، شطب عليه بالقلم، وقال: "قرأنا، حتى يُكتب لي الحافظ، مَن أنا؟ حتى يُكتب الحافظ"، فلا يفرح الإنسان بهذه الأمور، أيها الأحبة، لا يَغتر بها، فكيف إذا كتبَ هذه الأشياء لنفسه، وقد يضرهُ بعض التلاميذ، وبعض المُحبين الذين يكتبون على الكتاب، مثل هذه العبارات، فينبغي أن يزجرهُم، وألا يُمكنهم من شيءٍ من ذلك.



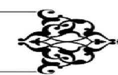
<u>الوصية الخامسة اِجتنب ما فيه شُهرة</u>: لا تَلبس ثوبًا فيه شُهرة، وقد جاء النهي عن هذا، **«مَن لَبِسَ ثوبَ شُهرةٍ في الدُّنيا، ألْبَسَهُ اللهُ ثوبَ مَذلَّةٍ يومَ القيامةِ»**، ورأى ابن عمر على ولده، ثوبًا قبيحًا، دونًا، فقال: "لا تلبس هذا، فإن هذا ثوب شُهرة"، قد تكون الشهرة في التبذل الزائد، إذا كان الإنسان يجد؛ لكن ليُظهر الزُهد مثلًا.

بعش الشبيبة أحيانًا، يريد أن يتميز بشيء، يتميز بلباسٍ غير ما يلبسهُ الناس، فَيلبس لباسًا مثلًا ليس لهُ رقبة، مثلًا، لماذا يا بُني، تَلبس هذا اللباس؟ من أجل ماذا؟ شاب صغير، في المرحلة الثانوية، ويتميز بهذا اللباس الغريب، الذي ليس من لِبس أهلهِ، ولا بيئتهِ ولا قومَه، لماذا؟ التميز بالعلم، والتميز بالعمل، وليس التَميز باللباس.

ولهذا كان أيوب السختياني رَحِمَهُ اللهُ في ثوبهِ، بعض التذيل، يعني أنَ ثوبهُ لم يكن شديد القِصر، كان يُقارب الكعب؛ لكنهُ لا يبلغ إلى الكعب، بطبيعة في الحال، فقيل لهُ، فقال: " الشهرة هاليوم، في التشمير"، يعني رفع الثوب أحيانًا رفعًا زائدًا، هذا في وقت أيوب السختياني، فكيف بنا اليوم، الشهر هاليوم، في التشمير، التقصير الزائد، في الثوب، مَن راهُ نظرَ إليه، التفت إليه.

فلا يكون الإنسان بهذه المثابة، ورأى بعضهم، على محمد بن الريان، خُفًا احمر، فقال: اِنزع هذا، يا بُني فإنهُ شهرة، فكيف بَالِي يتسابقون ويتهافتون، ليشتري رقمًا، من أرقام لوحات السيارات، مثلًا بملايين، ستة ملايين، أو سبعة ملايين، أو رقمًا للهاتف للنقال، مبالغ هائلة.

تتميز برقم، هذه الملايين، يُمكن أن تُبنى بها كلية، يُريد أن يُعرف برقم لوحة سيارة، رقم هاتف جوال، ليس هذا التميز أيها الأخوة، خُذْ بنصلِ السَّيفِ واتركْ غِمدهُ، العبرة بما تحت الثياب، وليست العبرةُ بالثياب، كما كان يقول الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ.

الوصـــية السادســـة تواضـــع: هــذا إبــراهيم النخعــي، إمــام في الفقــه، يقــول: "تكلمــت، ولـو وجـدت بـدا لم أتكلـم، وإن زمانـا أكـون فيـه فقيهـا لزمـان سـوء"، وبعضـهم كـان يقـو ل في عرفـة: "لـولا أني فـيهم، لقلـتُ قـد غُفـر لهـم"، يقـول الـذهبي، قُلتُ: "كـذلك ينبغـي للعبـد، أن يُـذري عـلى نفسـهِ، ويعظـما"، ويقـول: ابـن معـين: "مـا رأيـتُ مثـل أحمـد، صـاحبناه خمسـين سـنة، ما افتخر علينا بشيء، مما كان فيه من الخير".

قـال رجـل مـرة: "بلغنـا أن لكـم نَسـبًا"، فدافعـهُ عنـد البـاب ودَخـل، فقـال: "نحـن قـومٌ مسـاكين"، مـا قـال نحـن مـن القبيلـة الفلانيـة، ونحـن نفتخـر بكـذا، كـما هـي الآن الموضـة الجديـدة، بعصـر المـزايين، وكـان ثعلـب الإمـام العلامـة، المُحـدث اللغـوي، النحـويِ، يُـذري على نفسهِ، ولا يُعدها شيئًا، وكان لا يتفاصح في خِطابه.

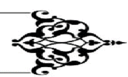
وقـال رجـلٌ لابـن مُجاهـد: الإمـام المُقرئ، صـاحب كتـاب السبعة، أول مَـن سَـبعَ السبعة، "لمـا لا تختـار لنفسـك حرفًـا؟" قـال: "نحـن إلى أن تعمـل أنفسـنا في حفـظ مـا مضىـ عليـه أئمتنـا، أحـوج منـا إلى اختيـار"، الأمـر كـما يقـول، الحـافظ ابـن القـيم رَحِمَـهُ اللهُ: "لـيس الشيـء الأنفـع للصادق، من التحقق بالمَسكنة، والفقر، والذَل لله عَزَّ وَجَلَّ وأنهُ لا شيء".

يقـول: لقـد شـاهدتُ مـن شـيخ الإسـلام ابـن تيميـة رَحِمَـهُ اللهُ مـن ذلـك أمـرًا لم أُشـاهدهُ مـن غـيره، كـان كثـيرًا مـا يقـول: "مـا لي شيء، ومـا منـي شيء، ولا فيَ شيء"، وكـان كثـيرًا مـا يتنفـل، بهذا البيت:

أنــا المكَــدِّى وابــن المُكــدي وهكـــذا كـــان أبـــي وجَـــدّي

مـا يقـول، أنـا لمـاذا لم أُقـدر؟ لمـا لم أُحـترم؟ لمـاذا لم أكـرم بالحفـل؟ أنـا صـاحب هـذا المشرـوع الـدعوي، أنـا صـاحب هـذا البرنـامج الخـيري، وتُعطـى الجـوائز، والـدروع للآخـرين، وأنـا أُهمـش، ويُسـحب البسـاط مـن تحتـي، ثـم يتحـول إلى خصـم، يتصـيد العثـرات، والأخطـاء، ويثبطُ ويعوقُ عنهم، هذا خلاف الإخلاص تمامًا.



يقــول: "وكــان إذا أُثنــى عليــهِ، في وجهــه"، يقــول: "والله إني إلى الآنُ أُجــدد إســلامي، كــل وق، ما أسلمتُ بعد إسلامًا جيدًا"، خذا يقولهُ، شيخ الإسلام ابن تيمية، رَحِمَهُ اللهُ.

الوصــية الســابعة اِعــرف سُــنة الله: ومهــا تكُــن عنــد امــرئٍ مــن خليقــةٍ، وإن خانهــا، تخفــى على الناسٍ تُعلمِ، يقول الفُضيل رَحِمَهُ اللهُ:

وَمَهــما تَكُــن عِنــدَ اِمــرِئٍ مِــن خَليقَــةٍ وَإِن خالَهــا تَخفــى عَــلى النــاسِ تُعلَــمِ

لــو يطــير الإنســان، ويتصــنع بــما يتصــنع، إن كــانَ، يعمــل بــلا إخــلاص، فــإن قلــوب الخلــق تلعنــهُ، ولــو كــان يُغــدق علــيهم، أو يــتكلم بأحســن الكــلام، أو يمضيـ وقتــهِ، في ليلــهِ ونهــارهِ، بظــاهر الأمــر، في الــدعوة، والأمــر بــالمعروف والنهــي عــن المُنكــر، إذا مــا أُجــد عنــدهُ نيــة صحيحة وإخلاص، لا يتعب.

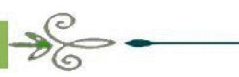
كما قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ:

الإخـــــــــلاص مِسْـــــــــك القلــب، يُنبــه ريحُــهُ عــلى حاملــه

أم عــلى مصــون، والإخــلاص روحــي، إذا لم تُخلــص فــلا تتعــب، لــو فقطعــت ســائر المنــازل، يعنــي في الحــج، لم تكــن حاجًــا إلا ببلــوغ الموقــف، يعنــي عرفــة، إخــلاص مثــل الوقــوف بعرفــة في الحــج، يــذهب يمــين ويســار، ومنــى، مــا الفائــدة إذا مــا وقــفَ بعرفــة؟ فمهــا حــاول الإنســان يُظهــر للناس، فإن الإخلاص، مسك مصون، في هذا القدر.

يُنبــه ريحُــهُ عــلى حاملــه: مــا يمكــن النــاس يُقــادون، تقــول لمــاذا لا يحفــر لي في الخطبــة الجمعــة؟ الشــباب، ولمــاذا لا تُجــبرُ النــاس؟ تُكــره النــاس، عــلى هــذا، ومــا ينفعــك، ولمــا تطلــب هــذا، يقــول بُــدين العقــيلي رَحِمَــهُ اللهُ: " مَــن أراد بعملــهِ وجــه الله تعــالى، أقبــل الله عليــه بوجهــه، وأقبــل بقلــوب العبــادِ عليــه، ومَــن عمــل لغــير الله، صرف الله وجهــه عنــهُ، وصرف قلــوب العباد عنهُ".

وفي هــذا يقــول الإمــام محمــد بــن واســع الإمــام المعــروف: "إذا أقبــلَ العبــد بقلبــهِ عــلى الله، أقبلَ الله عليه بقلوب عبادهِ المؤمنين"، يقول ظُفَر: "من قعدَ قبل وقتهِ ذَل"، قاعدة.







الوصـية الثامنـة تبصرـ في عيـوب نفسـك: فَتش عـن الخلـل الموجـود في داخلهـا، المُخلـص إذا عوتـبَ، أقَـر، وأصلـح مـن حالـه، وغـيرهُ إذا ذُكـرَ بشيـء مـن عيوبـه، فـربما ينفـر، كـما قـال الـذهبي رَحِمَـهُ اللهُ فـلا يسـعر بعيوبـهِ، ولا يريـد أن يشـعر بـذلك، وإذا ذُكـرَ بهـش، كَـبرَ، غايـة المُكـابرة، وربـما احتـا النـاس عليـه، بـألوان الحيـل، كيـف يسـتطيع الواحـد أن يوصـلَ إليـه؟ مـا قـد يُلاحظ عليه مما يُعاد.

الوصـية التاسـعة اِعـرف أصـل الـداء: أصـل هـذا الـداء، أيهـا الأخـوة ومكمنـهُ، هـو حـب الـدنيا، وكـل هـذه الأمـور مـن الـدنيا، فـإذا وجِـدت هـذه الشـجرة في القلـب، فكـما قـال بعـض العلـماء: "لـيس الحلـف لمـن يتـأذى بأصـوات العصـافير، فـوق الشـجرة، أن يُطاردهـا بـين وقـتٍ وآخر، كلما أزعجتهُ، بعصًا يزجُرها بها".

ثـم إذا جلـسَ واسـتراح، أعـادت مـرة أخـرى، إنـما الحـل أن يقطعهـا، فيسـتريح، فـالتعلق بالـدنيا والتشـبث بهـا كـذلك، إذا كانـت هـذه الـدنيا مُتغلغلـة في القلـب، فمعنـى ذلـك أن الإنسـان يُبحـر معهـا، فحيـث وجـدَ المركـب الـذي يوصـلهُ إلى بُهيتـهِ، فهـو لـن يـتردد، نسـأل الله العافية، في ركوبهِ، وهذا يحتاج أن يتشعر الإنسان، حقارة الدنيا، وأنها متاع زائل، فانية.

تصـور قبـل قـرن مـن الزمـان، وقبـل عشرـة قـرون، وقبـل خمسـة قـرون، وقبـل، ذلـك الإنسـان الـذي كـان يُراعـي في صـلاتهِ، وفي صـيامه، ويُخـبر النـاس أنـهُ تصـدق، وكـذا، مـاذا ينفعـهُ الآن؟ مـاذا بقـيَ لـهُ؟ تلـك الأيـام التـي صـامها، تلـك الختمـة التـي ختمهـا، يُرائـي بهـا، ويـذكُرها عنـد الأخـرين، مـاذا بقـيَ لـهُ الآن؟ وقـد مـات قبـل ثـمان مائـة سـنة، أو خمـس مائـة سـنة، أو مائة سنة، ماذا بقيَ؟ لا شيء.

الإنسـان في أيامـهِ الماضـية، مـا وقـعَ لـهُ خلـلٌ في قصـده ونيتـهِ، مـاذا أغنـى عنـه؟ ذلـك العمـل، تبقـى مَغبتـهُ، وعاقبتـهُ السـيئة، أيهـا الأحبـة، والـدنيا حقـيرة، لـو كانـت تسـاوي عنـد الله جنـاح بعوضـة، مـا سـقى منهـا كـافرًا، شربـة مـاء، {اعْلَمُـوا أَنَّـمَا الْحَيَـاةُ الـدُّنْيَا لَعِـبٌ وَلَهْـوٌ وَزِينَـةٌ وَتَفَـاخُرٌ بَيْـنَكُمْ وَتَكَـاثُرٌ فِي الْأَمْـوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَـلِ غَيْـثٍ أَعْجَـبَ الْكُفَّـارَ نَبَاتُـهُ ثُـمَّ يَهِـيجُ فَـتَرَاهُ






مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ [الحديد: ٢٠].

يوجه الإنسان قصده، وقلبهُ، إلى ما عند الله من نعيم مُقيم، الدار الآخرة، ومرضاة الرب المعبود جَلَّ وَعَلَا وليجاهد هذه النفس، التي تطلع دائمًا إلى حظوظها، ويعلم أن حتوفها في ذلك.

كم شارب عسلاً فيه منيّتُه | وكم تقلد سيفاً من به ذُبحا

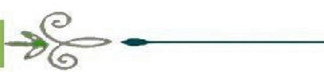
وقد قال بعضهم مُصورًا حالهُ:

كَأَنِّيْ شَمْعَةٌ مَا بَيْنَ قَوْمٍ | تُضِيءُ لَهُم وَيَحْرِقُهَا اللَّهِيبُ
كأني مخيط يكسو أناسا | وجسمي من ملابسه سليب

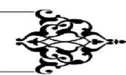
فيصحّح الإنسان إنسانيتهُ، وقصدهُ، وأختم بوصيةٍ، أوصى بها، فقالها ابن عُبيد رَحِمَهُ اللهُ يوصي بها ابن مُحيريز الذي بعض خبرهِ، يقول: "خصالٌ ينفعك الله بِهن، عن استطعت أن تَعرف، ولا تُعرف، فافعل، وإن استطعت أن تسمع، ولا تكلم، فافعل، وإن استطعت أت تجلس، ولا يُجلس لك، فافعل".

وأخيرًا: أقول أيها الأحبة، ينبغي أن نضع خذا الكلام في موضعه الصحيح، اعملوا، وقدموا، وابذلوا، الأمة أحوج ما تكون إلى البذل، والعمل، وتضافر الجهود، والدعوة إلى الله عَزَّ وَجَلَّ لكن نطلب بذلك ما عند الله عَزَّ وَجَلَّ ولا ندخل فيما لا نُحسن، إذا استقمت على هذا، فأنت على الجادة، وإياك أن يأتي الشيطان، ويقول هذا الباب، بابٌ خِطر، فاقعد في بيتك، وكن حرس بيتك تستريح، قل لهُ لا تستريح، سُتحاسب، فالنجاة بالإخلاص، والعمل الذي يُحبهُ الله ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وأسال الله عَزَّ وَجَلَّ أن يتقبل مني ومنكم، أن يرحمنا جميعًا، وان يغفر لنا، ولوالدينا، ولإخواننا المسلمين، اللّهم أرحم موتانا، واشفي مرضانا، وعافي مُبتلانا، وأجعل آخرتنا هيرًا من دُنيانا، نسأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أن يرزقنا وإياكم نيةً صادقةُ، خالصة، وأن يرزقنا







وإيـاكم علـمًا نافعـا، وعمــلًا صــالحا، وأن يُعيننـا جميعًــا، عــلى ذكــرهِ وشُــكره وحســن عبادتــه، وصلَّ الله على نبينا محمد.

